الدكتور جورج قنازع : ديوان العسكري، جمعه وحققه الدكتور جورج قنازع، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩، ٢٥٦ صفحة .

بين الدكتور جورج قنازع وبين أبي هلال العسكري، احد أعلام الشعر والأدب في القرن الهجري الرابع، صلة تتوطد باستمرار . بدأت هذه الصلة بالرسالة التي أعدّها للدكتوراه سنة ١٩٧١، وعنوانها كتاب الصناعتين للعسكري - دراسة نقدية[١]، تلا ذلك تحقيقه لرسالة العسكري "الرسالة الماسة فيما لم يضبط من الحماسة "[٢]، وذلك سنة ١٩٨٠ . أما الآن فيصلنا ديوان العسكري الذي جمعه وحققه الدكتور قنازع، صادرا عن مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٧٩ .

تشير المصادر القديمة الى انه كان لأبي هلال العسكري ديوان شعر ولكنه فقد . وقد سعى الدكتور قنازع أن يجمع كل ما يقع تحت يده من الشعر المنسوب لهذا الرجل، فعثر على زهاء الف وستمائة بيت من سبعة وثلاثين مصدرا . ولكن الغالبية الساحقة من الأبيات مأخوذة من كتب العسكري نفسه، وبشكل رئيسي ديوان المعاني و كتاب الصناعتين و جمهرة الأمثال .

وهنا يتبادر السؤال : هل يمكن أن يكون مجموع المقطوعات من شعر العسكري ديوان العسكري؟ فالمقطعات أبيات تتفاوت في الطول من البيت الى البيتين الى ما قد يتجاوز العشرة، وفي بعض المواضع القليلة ما يتجاوز العشرين . وهي مختارات

---

١ The Kitāb aṣ-Ṣināʿatayn of al-ʿAskarī ; a critical Study .

٢ "Al-Risālatu l-māsa fī mā lam yuḍbaṭ min al-Ḥamāsa by abū Hilāl al-ʿAskarī", *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* , Vol. II (1980), pp. 97 - 163.

تمثل "معنى" أو صورة، مثل وصف حصان، أو وصف نوع من الأزهار، أو وصف الليل أو "ذم الأخوان" أو "الحسان والمشيب" الخ، وقد جعل الدكتور لكل مقطوعة عنوانا يمثل معناهـا .

ونحن نعلم أن القصيدة العربية ، قبل العسكري، وفي أيامه ، بل بعده الى أمد بعيد، كانت تنسج المعاني المختلفة في طيّاتها بينما يكون موضوعها العام المدح أو الاخوانيات أو الطرديات أو الهجاء ... الخ . والدكتور ـ الذي لا يحتاج الى من يلفت نظره الى ذلك ـ سعى في بعض المواضع أن يرمّم بعض القصائد أو شيئا من القصائد، اعتمادا على وحدة الوزن والقافية والموضوع، وقد أشار الى تلك المواضع باشارات خاصة، الا انه يقول : "ولكنّ ذلك لم يتسنّ لنا في حالات كثيرة، وبقي طابع المقطوعات غالبا على هذا الديوان" [1] .

ولذلك ففي اطلاق اسم الديوان على هذه المجموعة كثير من التجاوز ولعله كان من الأفضل لو سمي بما معناه ـ ما تيسّر من شعرالعسكري .واذا لم يكن هذا "الديوان" يتيح المجال لدراسة أكاديمية وافية لشعر أبي هلال، لأنه لا يعطي الصورة الكاملة لمبنى القصائد، ولا الحجم الحقيقي لتلك القصائد أو الديوان ـ فانه من جهة أخرى على غاية كبيرة من الأهمية لدارس شعر العسكري وشعر عصره لأنه يقدّم العصارة الفنية التي استخلصها العسكري من شعره، خاصة وانها من اختياره (في غالبيتها الساحقة) وقد وشّح بها كتبه على سبيل المثل والاستشهـاد .

ولذلك فان الجهد المبذول في البحث والتحقيق له أهميته في هذا المضمار، كما انه له أهميته في التوثيق، فاذا اتيح يوما اكتشاف ديوان العسكري المفقود كانت هذه المجموعة سندا هامّـا للدراسة والتحقيق العلمي المكمّـل .

*

ان ما يثير الدهشة ان رجلا كالعسكري الذي كان له اشعاعه الفكري في عصره يغشى سيرة حياته الكثير من الضباب، وتقل عنها المواد . ولذلك بذل الدكتور قنازع جهدا كبيرا للتعريف بالرجل، وتحقيق بعض المعلومات الأولية عنه كسنة ميلاده وسنة وفاته، فكانت الدراسة التي قدم بها للديوان اسهاما هامّـا في ترجمة العسكري، ومن خلال مناقشات للمراجع المختلفة، وتحقيق علمي لما ورد فيها يخلص الى الأمور التاليـة :

---

١ مقدمة الديوان، ص ٣٣ .

ـ ان أبا هلال توفي "في السنوات الأخيرة للقرن الهجري الرابع أو في أوائل القرن الخامس" ؛ ويصعب تحديد سنة ميلاده التي قد تكون في العقود الأولى للقرن الهجري الرابع .

ـ" انه ولد في عسكر مكرم ، لأسرة مثقفة ، وانه تتلمذ على أبي أحمد العسكري ، وانه كان يبيع البزّ ليعتاش" [1] .

والتعزية الوحيدة في المصادر عن العسكري ان ثمة قائمة بمؤلفاته . ويبلغ عدد الكتب الموجودة والمفقودة المنسوبة له ٢٧ كتابا ورسالة (منها ديوان شعره) . وقد طبع منها ١٠ من الكتب والرسائل ، ويأتي الآن الكتاب الذي جمعه وحققه الدكتور قنازع لينضم الى القائمة .

وحينما تقل المصادر عن الأديب ، لا يجد الباحث بدّا من الاعتماد على نصوص من أدبه ـ من الشعر أو النثر ـ لتعينه على رسم السيرة . وهنا تبرز أهمية كمية تلك النصوص وتنوعها ، فكلما كانت أكثر أتاحت الاطلاع على جوانب مختلفة من السيرة ، خاصة اذا كانت تلك النصوص شعرية ، فقد يعبّر الشاعر عن حالة أو جانب ما ، وتؤثر عنه تلك الأبيات ، ويكون الاستنتاج بناء عليها دون الاطلاع على سواها ـ مضلّلا .

وقد ناقش الدكتور قنازع الذين ترجموا للعسكري واستخلصوا أنه عانى من الفقر وضنك العيش ، اعتمادا على ما ورد من شكوى في شعره ، فأورد أبياتا يدعو فيها العسكري الندماء الى بيته مغريا اياهم بالقهوة الشمول .. ومواضع أخرى من شعره يصف فيها العديد من المأكولات والفواكه والطيور ومجالس الشراب وغيرها ، ويخلص من ذلك الى القول : "ولذلك يمكن القول ان تذمّر أبي هلال في شعره لا يعكس سوى أزمات اقتصادية مرّ بها فترات قصيرة ، وانه على الأغلب كان يعيش حياة أقرب الى الغنى منها الى الفقر" [2] ، والذي أراه أن الجزم في هذا الاستنتاج لا يكون بالضرورة ـ اعتمادا على ما ورد من نصوص ، مع انه قد يكون جائزا . فالدعوة [الوحيدة] للندامى ، قد تكشف عن فقير كريم ، ووصف المآكل والفواكه .. قد يكون لما تمتع ، على موائد الآخرين .. ، ولكن من ناحية أخرى فان شكوى الزمان كان معنى شعريا طالما تردّد في الشعر العربي ، وليس بالضرورة تعبيرا عن فقر وشظف عيش .

ويبذل الدكتور جهدا كبيرا في محاولة استخلاص عقيدة أبي هلال . فبينما

---

١ المقدمة ، ص ١٦ .
٢ المقدمة ، ص ١٩ .

نسب اليه التشيّع بعض المترجمين [1] ، يرى الدكتور أنه كان أقرب الى المعتزلة [2] اعتمادا على تلميحات وردت في كتب العسكري ، وأخصّها دفاعه عن واصل بن عطاء ، وذكر مناقبه في كتاب الأوائل .

وأخيرا فان الدكتور قنازع قدّم لنا في عمله هذا أثرا هامّـا لدراسة شعر العسكري وشعر عصره ، كما بذل جهدا كبيرا للاسهام بتقديم ترجمة هامّـة للعسكري وآثاره . ولعلّ لأبي هلال ، الذي أكثر من شكوى الزمان وتنكّر أهله ، تعزية في جهد الدكتور قنازع الذي يسعى أن يعطيه شيئا من حقّه ، فهو جهد جهيد ، ودأب علمي متواصل لا بـدّ أن ينـوّه بـه ويشكـر عليـه .

حنـا أبو حنـا

---

١ المقدمـة ، ص ٢٤ .

٢ المقدمـة ، ص ٢٥ .